المتحف القبطي

خطبة نفيسة لمؤسسه

ايها السادة

(١) يسرني كثيراً ان ارحب اليوم في هذه البقعة التاريخية الهامة بنخبة من رجال التعليم الموكول اليهم تربية شبابنا وتهذيبهم — رجال الغد الذين تنتظر منهم الامة ان يسيروا بها في سبيل التقدم والرقي ليرجعوا اليها مجدها القديم

(٢) يسرني ان تعنى وزارة المعارف الجليلة عناية خاصة بامر تعليم تاريخ مصر علماً وعملاً بعد ان كان مهملاً اهمالاً يكاد يكون تاماً هذا بينما كان الاجانب من اوربيين واميركيين يهتمون به وخصوصاً الاولين منهم فانهم منذ اكثر من مائة وخمسين سنة وهم يوفدون العلماء يبحثون وينقبون حتى توصلوا بجدهم واجتهادهم الى كشف اكثر الآثار التي كانت مدفونة والى حل رموز القلم الهيروغليفي بعد ان ظل سرّاً مكنوناً اكثر من الف وخمسمائة سنة وتمكنوا من قراءة الحوادث التاريخية المنقوشة على جدران المعابد والمقابر ووضعوا مؤلفات قيمة كثيرة عن تاريخ مصر القديم وديانة المصريين في تلك العصور الغابرة

(٣) قد ولّى والحمد لله الزمن الذي كان المصريون فيه لا يفهمون امر آثارهم التاريخية وحان الوقت الذي يمكنكم ان تبينوا فيه باحضرات الاساتذة لتلاميذكم ما وصل اليه اجدادهم من المجد والسؤدد بنبوغهم في العلوم والفنون وتحثوهم على المساعدة على الاحتفاظ بآثارهم والاقتداء بهم في تحصيل العلم واتقان الصنائع والفنون ليكونوا جديرين بأولئك الأجداد العظام

(٤) قد لا توجد بلاد اخرى في العالم تصل حلقات تاريخها بعضها ببعض بدون انقطاع من اقدم العصور الى يومنا هذا مثل القطر المصري ولا يوجد تاريخ تؤيد الحوادث الواردة به المستندات مثل تاريخ مصر . اعني بالمستندات تلك المباني الشامخة الخالدة من اهرامات وهياكل ومقابر واديرة وكنائس وجوامع في مختلف الجهات وكذلك المخطوطات والتحف والزخارف الكثيرة في متاحفنا ومتاحف اكثر بلدان اوربا واميركا

(٥) مضى على مصر اكثر من الفين وثلاثمائة سنة منذ ما فقدت استقلالها

بانتهاء حكم الفراعنة ومن ذلك العهد وهذه البلاد بسبب موقعها الجغرافي الممتاز وما خصها الله به من المناخ الجميل والتربة الخصبة والثروة الطائلة مطمح نظر الفاتحين من احباش ويونان وفرس ورومان وعرب واتراك وافرنج وقد توالت عليها الغارات والمحن فهُدم في اثناء الحروب وما يتبعها من الاضطرابات كثير من المباني الفخمة التي لولا عبث يد الانسان بها لبقيت خالدة مدى الدهور والاعوام، وضاع من الذخائر والكنوز ما لا يدخل تحت حصر. والامر المحزن هو انهُ لما خيم الجهل على البلاد قام الاهالي يهدمون ما بقي ظاهراً من آثار اجدادهم بحثاً عن الذهب والفضة وللانتفاع بانقاضها لبناء دورهم. وكم من قطعة من الحجر بما هو منقوش عليها من معلومات تاريخية تفوق قيمتها في نظر العلماء وزنها من الفضة والذهب!

(٦) ولكن العناية شاءت ان تحفظ لنا بعض هذه الآثار العجيبة فسخرت الرياح ورمال الصحارى فطمست معالم كثير منها واخفتها عن عيون العابثين من اجانب ووطنيين الى ان اتاح الله لمصر العائلة المحمدية العلوية التي استعانت بعلماء الافرنج مثل مريت باشا وبروجش باشا وماسبرو لكشف تلك الآثار وحفظها وصيانتها وانشأت المتاحف لعرض ما عثر عليهِ من التماثيل والحلى والزخارف وترتيب تلك التحف والآثار بطريقة علمية ووضعت القوانين للمحافظة عليها والضرب على ايدي العابثين بها

(٧) تنقسم الآثار المصرية كما تعلمون حضراتكم الى اربعة اقسام رئيسية (١) آثار العصر الفرعوني الذي يبتدئ من اقدم العصور المعروفة وينتهي بانتهاء حكم الفراعنة في اول القرن الثالث قبل المسيح وقد شاهدتم كثيراً من آثاره العجيبة بالجيزة وسقاره ومتحف قصر النيل واهمها بالوجه القبلي (٢) العصر اليوناني الروماني ويبتدئ من القرن الثالث قبل المسيح وينتهي بالفتح العربي في الجيل السابع للميلاد وآثاره معروضة بمتحف الاسكندرية (٣) العصر المسيحي وسأتكلم عنهُ (٤) العصر الاسلامي ويبتدئ من القرن السابع للميلاد الى يومنا هذا وقد شاهدتم آثاره البديعة في جوامع القاهرة ومساجدها في دار الآثار العربية بباب الخلق

العصر المسيحي

(٨) كان المصريون في مقدمة الامم التي اعتنقت النصرانية وكان دخولهم في دين السيد المسيح على يد القديس مرقس الانجيلي في القرن الاول للميلاد. بدأ هذا الرسول

تبشيره في الاسكندرية عاصمة البطالسة وقد تولى البطاركة رآسة الكنيسة المصرية من ذلك العهد. والانبا كيرلس البطريرك الحالي هو المائة والثاني عشر من خلفاء مرقس الانجيلي. وكانت الاسكندرية مقر رآستهم حتى الفتح العربي ويدعون لهذا اليوم بطاركة الاسكندرية لهذا السبب. وبعد ذلك لما تأسست مدينة الفسطاط انتقلوا الى كنيسة المعلقة [1] التي ستزورونها اليوم ليكونوا على اتصال بالولاة والسلاطين المسلمين

(٩) ولما اعتنق المصريون المسيحية ابقوا على كثير من هياكل آلهتهم القديمة وحولوا معابد آمون وازيس وحورس الى كنائس رفعوا فوقها الصليب واستعاضوا عن صور الآلهة الوثنية بصور السيد المسيح ورسله كما يشاهد ذلك الآن في الهياكل والبرابي الموجودة باسوان والاقصر والكرنك ولبثوا يقيمون الشعائر الدينية المسيحية بها الى ان تسنى لهم تشييد كنائس جديدة على الطراز البيزنطي مثل كنيسة دندره وكنيستي الدير الابيض والاحمر بسوهاج وكنائس قصر الشمع وغيرها

اللغة القبطية

(١٠) وبالنسبة لارتباط الحروف الهروغليفية بالديانة الوثنية استعاض عنها الاقباط بالحروف اليونانية باضافة بعض حروف مصرية الاصوات غير موجودة في اللغة اليونانية وقد خدم الاقباط تاريخ اجدادهم اجل خدمة بمحافظتهم على اللغة المصرية فان اللغة التي تستعمل الى يومنا هذا في اقامة الشعائر الدينية عند الاقباط هي هي اللغة التي كان يتكلم بها الفراعنة وقد ادخل عليها طائفة من الالفاظ اليونانية

وسبب اندماج كثير من الالفاظ اليونانية في اللغة المصرية التي اصبحت من ذلك العهد تدعى اللغة القبطية هو ان المسيحية بدأت كما سبق القول بالاسكندرية وكانت مدينة يونانية فكتبت الاناجيل وكتب الصلاة باللغة اليونانية ولما انتشر الدين المسيحي في داخل البلاد اضطروا الى ترجمة الكتب المقدسة الى اللغة المصرية التي كان السواد الاعظم من الاهالي لا يفهم سواها. ولا تزال توجد الى الآن آثار هذه الكتب بلهجات اللغة المصرية الخمس (١) الصعيدية (٢) الاخميمية (٣) الفيومية (٤) البشمورية (٥) والبحيرية وقد فقدت اكثر الكتب المكتوبة باللهجات الاربع الاولى ما عدا القليل منها واكثرها في مكاتب اوربا واميركا والباقي عند الاقباط منها الآن مكتوب

---

(١) انظر وصفا لمتحف فيينا الملكي في مقالة قصر الشمع

باللهجة الصعيدية التي لا يعرف الاقباط سواها ما عدا اثنين او ثلاثة منهم الدكتور جورجي صبحي استاذ اللغة القبطية بالجامعة المصرية و بسي افندي عبد المسيح امين مكتبة المتحف القبطي . و يرجع الفضل في درس اللهجات الاخرى وطبع كثير من الكتب المكتوبة بها الى علماء الافرنج وفي مقدمتهم كرم وهورنر والسير هربرت طمسون من الانجليز واميلينو و بوريان من الفرنسويين وستين من الالمان وغيرهم من امم أخرى

(١١) ولولا محافظة الاقباط على لغتهم الاصلية لما تمكن شمبليون العالم الفرنساوي الشهير من قراءة وترجمة الكتابة المنقوشة بالحروف الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية على حجر رشيد الموجود الآن بالمتحف البريطاني بلندن . و بهذه المناسبة احب ان اذكر ان لفظ قبطي معناها مصري وهي محرفة من اللفظة اجيبتوس ولذلك فجميعكم اقباط بعضكم اقباط مسلمون والبعض الآخر مسيحيون وكلكم متناسلون من المصريين القدماء

الكنائس والاديرة الاثرية

(١٢) ولما وجدت ان الاديرة والكنائس الاثرية عرضة للهدم والتخريب طلبت من الحكومة في سنة ١٨٩٣ وضعها تحت مراقبة لجنة حفظ الآثار العربية فتكرمت واجابتني الى طلبي هذا و بهذه المناسبة ضمت الى اللجنة المذكورة عضوين قبطيين لي الشرف ان اكون احدهما . وقد قامت هذه اللجنة بترميم كثير من هذه المباني الاثرية واصلاحها بعناية تذكر لها بالشكر العظيم ومن هذه الآثار الدير الابيض والدير الاحمر بسوهاج وكنائس العذراء بحارة الزويلة بالقاهرة وابي سيفين وانبا شنوده وماري مينا بمصر القديمة وابو سرجه ودير البنات والسيدة بريازه بقصر الشمع

المتحف القبطي وكنيسة المعلقة

(١٣) ولما كانت الآثار المسيحية المعروضة بالمتحف المصري بقصر النيل والمتحف الاسكندري قليلة جداً وكان اكثرها قد تسرب الى الخارج خطرت لي فكرة انشاء متحف خاص لها على مثال المتاحف الثلاثة المصرية الاخرى وهي المتحف المصري بقصر النيل ومتحف الآثار اليونانية الرومانية بالاسكندرية ودار الآثار العربية فتكمل السلسلة بوجود الحلقة الرابعة الناقصة . ولما عرضت هذه الفكرة على غبطة الاب البطريرك في سنة ١٩٠٩ لقيت منهُ قبولاً وارتياحاً فكرم ووضع تحت تصرفي غرفتين في كنيسة المعلقة التي دعيت بهذا الاسم لانشائها باعلى الحصن الروماني و يرجع تاريخها الى القرن

الخاص للمسيح وقد اهتم بترميمها والمحافظة على ما بها من الآثار النفيسة المرحوم مخلد بك الباراتي ومن ذلك الوقت اخذت في زيارة الاديرة والكنائس في انحاء القطر المصري وجمعت ما استطعت الحصول عليه من الكتب المخطوطة والاقمشة المزركشة والستور الحريرية والاواني الذهبية والفضية والنحاسية والاخشاب المنقوش عليها صور بارزة والمطعمة بالعاج والاحجار المنقوشة الخ

(١٤) ثم شرعت في البناء غرفة بعد غرفة الى ان وصل المتحف القبطي الى الحالة التي هو عليها الآن وقد زينت هذه المباني بالسقف الاثرية المنقوشة والمشربيات القديمة النظير والاعمدة الرخامية التي جمعتها من الخرائب التابعة لاوقاف الاقباط بمصر والجهات

(١٥) وقد صادفني كثير من العقبات ولكني تغلبت عليها بمعونة الله وبالصبر وطول الاناة وفي ذلك درس وعظة اذ بالمثابرة والاجتهاد يتغلب الانسان على اكبر الصعاب — وان كنت نجحت فالفضل الاكبر في ذلك عائد الى المحسنين من جميع الطبقات مسلمين ونصارى وكثير من الاجانب أغنياء وفقراء وفي مقدمة الجميع صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم وساكن الجنان السلطان حسين وامراء العائلة الملكية وبالاخص سمو الاميرين الجليلين البرنس عمر طوسن والبرنس يوسف كمال وعبطة الاب البطريرك وبقية مطران الاسكندرية اللذين وجدت منهما كل تشجيع. وقد حصلت على تبرعات مالية من كل مذهب اخص منهم بالذكر المرحوم داود بك نكلا وقد وجدت كل مساعدة في عملي من القمص يوحنا شنوده رئيس كنيسة المعلقة وشقيقه القس مرقس شنوده والدكتور جورجي صبحي ووديع افندي حنا سكرتير المتحف وبدى افندي عبد المسيح امين المكتبة وكثيرين غيرهم اذكر منهم الدكتور بطلر والمستر سومرز كلارك والمستر باترسون المستشار المالي والمسيو باتريكولو والمسيو فوكار والمرحومين المسيو ماسبيرو وهرتس باشا

المكتبة

(١٦) وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم ايد الله بالعدل دولته وانعم على هذه الامة في ظل عهده الميمون نعمته فجعل حفظه الله للمتحف القبطي حظاً كبيراً من عنايته المالية اذ تكرم بزيارته في شهر دسمبر سنة ١٩٢٠ وفي معية جلالته الوزراء وكبار رجال الدولة واشار جلالته باضافة مكتبة الى هذا المتحف تضم كل ما كتب

عن الاقباط وتاريخهم ولغتهم بسائر اللغات وتبرع حفظهُ الله وانجاله الكرام لهذا المشروع المفيد بمبلغ خمسمائة جنيه مصري وقد تم بمعونة الله وبحسن رعاية جلالته انشاء هذه المكتبة . واهدى اليها مجموعة كتب قيمة ورثةُ المرحوم ميخائيل بك شاروبيم وكذلك دار الكتب المصرية والمتحف البريطاني والارسالية الفرنسوية الاثرية بمصر ومتحف نيويورك وقد وضعنا في مدخلها لوحاً من الرخام نقشت عليه العبارة الآتية

« انشئت هذه المكتبة العامرة تخليداً لذكرى تشريف حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد المعظم هذا المتحف بزيارته الميمونة في يوم الثلاثاء المبارك ٢١ دسمبر سنة ١٩٢٠ الموافق ١٢ كيهك سنة ١٦٣٧ قبطية » وقد تكرم وساعدنا في ترتيب الكتب بها وانشاء سجلاتها حضرة توفيق بك اسكاروس الموظف بدار الكتب الملكية المصرية

الحصن الروماني

(١٧) انتخبت هذه النقطة البعيدة عن مركز المدينة لانشاء هذا المتحف لجملة اسباب اولاً — لان الآب البطريرك لم يسمح بنقل التحف والذخائر النفيسة التي ستشاهدونها فيه من الاديرة والكنائس التي هي موقوفة عليها واكثرها من الاواني المكرسة للخدمة الدينية الا شرطاً ان تكون في داخل كنيسة وفي عهدة قسوسها ثانياً — ليكون في وسط اهم الكنائس الاثرية كالمعلقة والبي سرجه والسيدة بربارة — ثالثاً ليكون داخل الحصن الروماني الشهير الذي شيدهُ الامبراطور تراجان حسب زعم البعض وهرقل حسب زعم البعض الآخر من الثقات وبه الباب الذي دخل منهُ عمرو بن العاص ومن كان معهُ من الصحابة واصبحوا من وقتها اسياد البلاد المصرية

وقد تمكنت بمساعدة لجنة حفظ الآثار العربية من ترميم هذا الباب العظيم والابراج التي تزينها

(١٨) وفي الختام اريد ان اقول اني عضو في لجنة دار الآثار العربية ولا يقلُّ اهتمامي بها عن اهتمامي بالمتحف القبطي كما اني اول الساعين في توسيع نطاقها. وقد وافقني حضرات زملائي اعضاء لجنة حفظ الآثار العربية على طلب مرامي بكنائس الكائنة الى جنوب جامع السلطان حسن لتعرض بها الآثار الحجرية والرخامية حتى يتسنى تسهيل ترتيب الآثار الاخرى المكدسة الآن بعضها على بعض في دار الآثار العربية

مرقص سميكة باشا

السر هنري دتردنج
مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٢٨٧